



الجوانب الايجابية في كتابات بعض المستشرقين عن

النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)

أ.د. زينب مهدي رؤوف

جامعة بغداد - كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية

المستخلص

جاءت دراسة الجوانب الايجابية في كتابات بعض المستشرقين عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ذو أهمية كبيرة في بحثنا هذا للوقوف على آرائهم ، واقتوالهم ، في الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وفي المبادئ التي جاء بها الاسلام ، وما تمخض عن هذه الدراسات الايجابية في الرسول (صلى الله عليه وسلم) من انعكاسات اخرى .

قسم البحث الى مقدمة ومبحثين ، المبحث الاول : أنصاف بعض المستشرقين الغربيين في كتاباتهم عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، المبحث الثاني : أثر الكتابات الايجابية لبعض المستشرقين عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وانعكاساتها على الدراسات الاسلامية. الكلمات المفتاحية: الجوانب ؛ ايجابية ؛ كتابات ؛ المستشرقين ؛ النبي.

The positive aspects in the writings of some orientalists on the Prophet Muhammad)

Professor Dr.Zaynab Mahdy Raaowf

University of Baghdad Ibn Rushd College of Education for Human Sciences

Dr.Zaynab. M@yahoo.com

Abstract

The study of the positive aspects in the writings of some orientalists on the Prophet Muhammad was of great importance in our research in to find out their opinions and sayings in the Messenger, and in the principles that Islam brought forth, and what emerged from these positive studies in the Messenger of Other reflections.

The research was divided into an introduction and two topics, the first topic: the half of some Western orientalists in their writings on the Prophet Muhammad , the second topic: the impact of the positive writings of some orientalists on the Prophet Muhammad and its implications on Islamic studies.

Key words: sides; positive; writings; orientalists; the Prophet.



المقدمة

يعد البحث في الجوانب الايجابية في كتابات بعض المستشرقين عن النبي محمد ﷺ ذو أهمية بالغة الاثر، لأن الدراسات الاستشراقية أخذت جانبيين الجانب السلبي ، والجانب الايجابي ، والاخير موضوع بحثنا والهدف الذي ترتكز عليه دراستنا نظراً لما يتسم به من علمية وتجرد في أغلب توجهاتها من دراسة سيرة الرسول ﷺ وفي نظرتها المنصفة الى حد ما للإسلام عامة والهدف من ذلك لكي لا نعمم النظرة السلبية على دراسات المستشرقين جميعاً بقدر ما نريد إظهار أنه فضلاً عن وجود مستشرقين حاقدين نالوا من الاسلام ورسوله هنالك مستشرقين أنصفوا الاسلام ورسوله في كتاباتهم حتى وان لم يسلموا ، او لم يعترفوا بنبوته الا انه يكفيننا أنهم قد اعترفوا برسالة الرسول ﷺ وما تبشر به من فضل وهداية . أذ قال تعالى في كتابه العزيز ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ .^(١)

لهذه الاسباب آنفاً اقتضت دراسة هذا الجانب المهم وهو الجانب الايجابي لكتابات بعض المستشرقين عن النبي محمد ﷺ كي نسلط الضوء على أثرهم الكبير في ظهور ما يسمى بالمستشرقين المنصفين عن النبي محمد ﷺ .

وقد تطلب طبيعة البحث ان نتبع المنهج الوصفي الاستقرائي للوصول الى المبتغى .
قسم البحث الى مقدمة ومبحثين ، المبحث الاول : أنصاف بعض المستشرقين الغربيين في كتاباتهم عن النبي محمد ﷺ ، المبحث الثاني : أثر الكتابات الايجابية لبعض المستشرقين عن النبي محمد ﷺ وانعكاساتها على الدراسات الاسلامية.

المبحث الاول: أنصاف بعض المستشرقين الغربيين في كتاباتهم عن النبي محمد ﷺ .
نحن نعلم أن مكانة الاسلام عامة والرسول ﷺ خاصة لا تحتاج الى بيان أو شهادات من أحد بعد أن شهد الله سبحانه وتعالى بآيات عديدة في كتابه الكريم قال تعالى :
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .^(٢)

وعن القرآن الكريم قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .^(٣)
قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

(٤)



وعن الاسلام قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ .^(٥) ، ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .^(٦)

يبدو أن العظماء لأي مرحلة تاريخية لابد أن يتركوا بصماتهم ليس في مجتمعاتهم فحسب ، بل يمدوا ظلهم في مشارق الارض ومغاربها ، وهذا ما حدا في بعض المستشرقين المنصفين من دراسة شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتحليل صفاته الخلقية والاخلاقية ، والاجتماعية والاهتمام بدوره القيادي في المجتمع كصاحب رسالة سماوية لم تقتصر على العرب فحسب بل العالم أجمع تصلح لكل زمان ومكان .^(٧) قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ .^(٨)

لقد ميز بعض المستشرقين المنصفين شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) بمزايا عديدة وقد درست كل منهم هذه المزايا أو بعضها من وجهة نظره لقد عُذَّ بعضهم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) قائداً وزعيماً ، وبعضهم جعله في مصاف المصلحين الاجتماعيين ، ورائداً من روادهم ، وآخرون رأوا أنه أحد عباقرة العالم الذين يندر أن يحظى العالم بمثله لكن القلة منهم من أبرز شخصيته رسولاً ، وقليلاً منهم من وصفه على كونه نبي أوحى اليه الاسلام وقد يكون هؤلاء متأثرون بمواقف المسلمين من الرسول (صلى الله عليه وسلم) من ناحية ثانية ومقبلون على الايمان بنبوته والدعوة الى رسالته في بعض الاحيان من ناحية ثالثة .^(٩)

ان هذا يتطلب منا عرض بعض من آراء المستشرقين المنصفين لرسول (صلى الله عليه وسلم) والتي أودعوها في مؤلفاتهم ، وأن لم يكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) بحاجة الى آرائهم حتى وان كانت ايجابية بعد أن شهد الله بنبوته وعصمته لكن يمكن عدها اعتراف صريح بما جاء به فضلاً عما قدمه هؤلاء من نتائج محايدة اثرت التراث العربي الاسلامي .

وفيما يلي عرض لهؤلاء المستشرقين مع مؤلفاتهم وآرائهم عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) فيها .

• فرانتس بهل : -

المستشرق الدنماركي الذي أصدر كتاب حول السيرة النبوية سنة (١٩٠٣) وترجمه الى الالمانية سنة (١٩٣٠) والموسوم (حياة محمد) أذ عُذَّ أطول ترجمة لحياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) قبل أن يصدر كتاب مونتغمري وات ، وجودفري ديمومبين ، مع كون الاخطاء العديدة والمبالغات التي يجدها الباحث المسلم فيما كتبه (بهل) عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) فأن هذا المستشرق أشار الى نقاط عديدة لم ينتبه اليها المستشرقون حيث قاس عظمة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بمقدار



صبره وتحمله الشدائد واخلاصه ذي النزعة الانسانية ، فضلاً عن ان عظمة النبي محمد تبدو واضحة ، كما أشار (بهل) بتأثيره القوي له على معاصريه واتباعه ، لقد أقر معظم المستشرقين من جيل القرن العشرين في تفسيرهم لهذه الظاهرة أو تلك ، وقد كان (بهل) أكثر انتقاعاً بالمصادر العربية الاصلية وأكثر قرباً في تقديم صورة أكثر صحة نسبياً ولكنها لا تخلو من الهفوات والشطحات .^(١٠) إشارة بهل اعلاه وان تضمنت هفوات الا انها أظهرت جانب ايجابي

• غوستاف لوبون :-

هو مستشرق فرنسي (١٨٤١ - ١٩٣١) أصدر كتابه الموسوم (الحضارة العربية) ، والذي أخرجه باللغة الفرنسية مع صور جميلة جداً ، والدلالة على قيمة الحضارة العربية في العالم .^(١١)

والى جانب نظريته الايجابية لرسول ﷺ ، والاسلام الا ان كتابه هذا لم يصادف هوأ لدى بعض المستشرقين .^(١٢) حتماً ان تسمية كتاب غوستاف لوبون بالحضارة العربية وعدم تقبل بعض المستشرقين لهذا الكتاب ماهو الا دليل واضح وصريح بأهمية وقيمة هذا الكتاب وهذا يعكس ايجابية لوبون .

• ليوني كايثاني :

هو مستشرق ايطالي (١٨٦٩ - ١٩٢٦) التفت الى دراسة تاريخ الاسلام ووضع كتابه الموسوم (حوليات الاسلام) سنة (١٩١٤) سرد فيه أحداث التاريخ الاسلامي بدءاً من عهد النبي ﷺ وحتى عهد الخلفاء الراشدين سنة (٤٠هـ/٦٦٠ م) .^(١٣)

حيث أكد على العوامل الاقتصادية ، والاجتماعية في نشوء الاسلام وتطوره، ولكن في الوقت نفسه رفض فرضية (هريبرت جريم) التي اعتبرت الدافع الاقتصادي المحرك الوحيد في ظهور الاسلام ، وبعد أن رفض كايثاني فرضية جريم باعتبارها تفسيراً متطرفاً يعطي الدافع الديني مركزاً قوياً في الدعوة الاسلامية ويختم كايثاني دراسته بحكم عادل موضوعي لإخلاص الرسول وتقانيه في سبيل المصلحة العامة ورغبته في تحقيق الخير والنتائج المهمة التي حققها خلال حياته .^(١٤) نجد ان كايثاني اعطى جانب ايجابي وموضوعي منصف لحد ما حينما أشاد في رغبة النبي محمد ﷺ أزاء تحقيق الخير ، والمصلحة العامة .



• توراندرية :-

هومستشرق نشر كتابه الموسوم (محمد الرجل وعقيدته) سنة (١٩٣٢) ، فقد كان كتابه دراسة كلاسيكية لشخصية النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) شملت الابعاد السياسية والدينية لحياته حيث يعالج موضوعه بمنهج أكثر استقراراً وموضوعاً ممن سبقه من المستشرقين معترفاً بفضائل الرسول (صلى الله عليه وسلم) المتميزة والاستثنائية الا ان هذه الدراسة كغيرها من الدراسات الاستشراقية لا تخلو من هفوات ، ومطاعن ، فالمستشرق اندريه يحاول جاهداً ان يجد ارتباط عقائدي بين الاسلام والمسيحية على اسلوب ومنهج مستشريقي العصور الوسطى كما وأن شخصية القس اللوثري تتضح في أندريه حين يحاول المقارنة بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) والمسيح .^(١٥) الاعتراف بفضائل النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) المتميزة لدى كتاب توراندرية يُعد دليلاً على وجود جانب منصف وإيجابي ، حتى وان لم تخلو كتاباته عن هفوات في جانب آخر منها .

• وليم موير :-

هومستشرق إيرلندي (١٨٠٨ - ١٨٦٧) أذ يذكر في كتابه (الاسلام) ، فقال : " أن محمداً لم يكن في وقت من الاوقات طامعاً في الغنى ، إنما سعيه كان لغيره ولو ترك الامر لنفسه لآثر أن يعيش في هدوء وسلام قانعاً بحالته " وفي مكان آخر أشاد بالنبي (صلى الله عليه وسلم) قائلاً : " أن النبي محمداً في شبابه طبع بالهدوء والدعة والظهور والابتعاد عن المعاصي التي كانت قريش تعرف بها " .^(١٦)

• سيديو :-

وهو مستشرق فرنسي ذكر محمد (صلى الله عليه وسلم) في كتابه (تاريخ العرب) في جزئه الاول قائلاً : " لقد بلغ محمد من العمر خمساً وعشرين سنة استحق بحسن سيرته واستقامته أن يلقب بالأمين ثم أستمر على هذه الصفات الحميدة حتى نادى بالرسالة . وربما توجه اليها فعارضوه اشد معارضة ... " .^(١٧)

وعن مسألة خلاص النبي (صلى الله عليه وسلم) محاطاً بالعناية الالهية ، من مكيدة القرشيين ، قائلاً : " موقع الله شرمهم ، وهو أولى أن يحفظ نبيه القائم بالدعوة له واحق أن يجعل كيدهم في نحورهم ، ومازال آخذاً بيمينه حتى غنى له الزمن ، وصفق له الدهر " .^(١٨)



• جود فري ديمومبين :-

هو المستشرق الفرنسي (ت ١٩٥٧) له كتاب (محمد) نشره سنة (١٩٥٧) ، اهتم بالسيرة النبوية ونالت دراساته شهرة كبيرة بسبب نزعتها الايجابية نسبياً ورفضها لصورة التي رسمتها أقلام المبشرين ومن تلاهم وسار على نهجهم من اجيال المستشرقين. (١٩)

• هربرت جريم :-

وهو الذي وضع كتاب (محمد) والذي نشره سنة (١٨٩٢ - ١٨٩٥) حيث ركز على البعد الاجتماعي في الاسلام ورغم أن فرضيته فيها شيء من الصحة الا أنها دافع واحد من جملة دوافع عديدة ، يعكس لامنس الذي أكد على البعد الاقتصادي . (٢٠)

• فلهاوزن :-

هو المستشرق الالماني عاش بين (١٨٤٤ - ١٩١٨م) عُرف بأرائه المعتدلة أذ أنه لم ينكر ولا ينفي نبوة محمد ﷺ ولم يطعن به أو يعتقد بأنه كتاب الله تعالى هو (قرآن محمد) ، وله كتاب (الدولة العربية) لذلك لم يقصد في كتابه هذا الكتابة عن الرسول ﷺ بشكل خاص ، ومع ذلك فإن آراءه جاءت هادئة مع وجود بعض الاشارات التي تحاول أن تبين فيها أثر اليهودية على تهياة الارض للنبي ﷺ في المدينة . (٢١)

• أيتين دينيه :-

وهو مستشرق فرنسي أعتق الدين الاسلامي وزها به فكتب كتاباً عن النبي ﷺ سلط فيه الضوء على المسألة الجوهرية التي شكك فيها المستشرقون من أبناء جلدته كتابه بعنوان (محمد رسول الله) وهو أول مستشرق يلوح بهذا العنوان العاصف والمؤثر في عقلية عدد من المستشرقين ولذلك فإن القارئ نادراً ما يرى المستشرقون يشيرون في قوائم مصادرهم عن هذا الكتاب في حين يكثررون الاشارة الى (لامانس ، وجريم ... وغيرهم) ، فالمؤلف دائماً يكرر تعبير " سيدنا محمد ﷺ " ، ويعتمد اعتماداً أساسياً على كتب السيرة بما في ذلك المعلومات التي يرى غيره من المستشرقين هي مجرد أساطير أو قصص أسطورية .. (٢٢)



" كما يتحدث عن مأساة الرسول (ﷺ) والامة وقراره الشجاع بهجرتهم الى الحبشة وحزنه على ضعاف المسلمين الذين لا يجدون من يحميهم حقاً أن شجاعة المعذبين والشهداء في سبيل الله برهنت على اسلامهم العميق ...". (٢٣)

يبدو أن سبب تسمية كتابه بهذا العنوان هو اعتناقه لدين الاسلامي لأن المستشرقين مهما بلغوا من أنصافهم لرسول (ﷺ) لا يمكن أن يطلقوا مثل هكذا مسميات .

وقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ظهور مادة تاريخية جيدة عن الاسلام ساعدت الى درجة ما على توضيح الصورة أو تعديلها بالنسبة للمستشرقين وكان من نتيجة ذلك ظهور كتاب تيودور نولدكه المستشرق الالمانى (ت ١٩٣٠) وضع كتابه الموسوم (تاريخ القرآن الكريم) ، سنة (١٨٦٠) . (٢٤)

• هـ - ج - ويلز:-

هو المستشرق الذي كتب كتاباً عن تاريخ العالم ، ولم يكن هو الاخر موفقاً في عرضه لسيرة الرسول (ﷺ) فكانت نظريته غالباً حاكمة ومغرضة لاعتماده على كتابات المستشرقين من القرن التاسع عشر هذا مع اعترافنا بنظرته الجيدة للحضارة الاسلامية التي وصفها بالسماحة ، والرفق ، والاسلام الذي وصفه بالعقيدة السهلة اليسيرة على الفهم . (٢٥) ونظراً لرأيه المنصف ، ونظرته الايجابية نوعاً ما أزاء الاسلام ، والحضارة الاسلامية وجدنا من المهم الاشارة الى الجانب الايجابي لهذا المستشرق .

• عبد الرحمن نيكل :-

هو بوهيمي الاصل من تشيكو سلوفاكيا أمريكي الجنسية (١٨٨٥ - ١٩٥٨) يستطيع أن يكتب بعشرين لغة وقد عمل محرراً بإحدى الصحف اليابانية ، ونقل القرآن الكريم الى اللغة التشيكية . (٢٦)

• رينولد نيكلسون :-

هو المستشرق الانكليزي (ت ١٩٤٥) الذي أعتمد على القرآن الكريم حينما ألف تاريخ الادب العربي وأختص بالكتابة عن التصوف الاسلامي . (٢٧)

كذلك تتفق بعض الدراسات الاستشراقية على أن النبي (ﷺ) عرف بإخلافه السامية وأمانته وشرف نفسه ، حيث أثار المستشرق البلجيكي (الفرد الفانز) في كتابه (علم النفس) عن أخلاق الرسول (ﷺ) وأمانته وزواجه من خديجة : قائلاً " شب محمد حتى بلغ ، فكان



أعظم الناس مروءة وعلماً وأمانة ، وأحسنهم جواباً ، وأصدقهم حديثاً ، وأبعدهم عن الفحش حتى عرف في قومه بالأمين ، وبلغت أمانته وأخلاقه المرضية خديجة بنت خويلد القرشية " (٢٨)

• هنري لامنس :-

هو المستشرق البلجيكي الذي عرف بدراسته عن عرب الجاهلية ، والعهد الاموي ، ويُعد لامنس احد المستشرقين الذين أساءوا الى الرسول ﷺ ، لكن نجد ان لديه فصلاً في أحد مؤلفاته وهو (عهد الاسلام) يذكر فيه جانباً ايجابياً قائلاً : "محمد بعد أن تزوج خديجة أصبح معروفاً في قومه، وكان الناس يجلون أوصافه ويحمدون سيرته ، ويلقبونه بالأمين ، أي الصادق الذي يعتمد عليه " . وفي مكان آخر قائلاً " هكذا كان محمد بحراء ، كان ينشد الكون في تلك الجبال التي كان يذهب ليخلو بنفسه متأملاً السماء ذات الكواكب الى ما كان يسمعه من أعماق قلبه ، وهو الرجل الامي الفطري والصادق وذلك الصوت هو صوت الحقيقة الابدية " (٢٩)

• جويدي :-

هو المستشرق الايطالي الكاثوليكي (ت ١٩٣٥) أصدر كتاباً من (تاريخ الدين الاسلامي) سنة (١٩٣٥) ، وكتاب آخر بعنوان (تاريخ العرب وثقافتهم) والذي ختمه بوفاة الرسول ﷺ . أذ أعطى جويدي لرسول ﷺ مركزاً مرموقاً كمؤسس للدين الاسلامي معترفاً بدوره الحيوي قائلاً : " لقد لعب محمد دوراً مهماً في كسب النفوس التي كانت بعيدة جداً عن معرفة الحقيقة ومغمورة في عبادة الاوثان وجعلهم يوقنون بالقوة الالهية المقدسة وبالثواب والعقاب العادل والطاعة الى الاله الحق الواحد لكل البشرية " (٣٠)

• أغسطينوس مولر :-

وهو مستشرق الماني (١١٤٨ - ١٨٩٤) درس اللغة العربية في فيينا فتوقف عندها ملياً ، وقال في كتابه (الاسلام) " أن قريشاً هدمت الكعبة ، وكان النبي أبن خمسة وثلاثين سنة وتعرض لتنازع قريش برفع الحجر الاسود فيضعه مكانه ثم تعرض لسياسة النبي محمد في هذا المقام وأنه أدهش قريشاً بسياسته الرشيدة " (٣١)



• جان توزينون كرو:-

وهو المستشرق الالمانى الفرنسى (١٨٦٧ - ١٩٢٤) أذ أشار في كتابه (العرب) عن مقدمات النبوة وبدأ البعثة في مقدمة كتابه قائلاً: " أن الله أصطفى محمداً لإرشاد أخيه وعهد اليه هدم ديانتهم الكاذبة وأثارة أبصارهم بنور الحق ، فأخذ من ذلك العهد ينادي بأسم الواحد الاحد بحسب ما أوحى اليه وبمقتضى عقيدته الراسخة " . (٣٢)

• روم لاندو:-

وهو الباحث والمستشرق الانكليزي أذ ذكر محمد قائلاً " كان محمد تقياً بالفطرة ، وكان من غير ريب مهياً لحمل رسالة الاصلاح التي تلقاها في رؤاه وفضلاً عن طبيعته الروحية كان في جوهره رجلاً عملياً عرف مواطن الضعف ومواطن القوة في الخلق العربي ... " . (٣٣)

• التريتكين :-

وهو المستشرق اليوغسلافي (١٨٣٣ - ١٩٠٧) ذكر الرسول ﷺ في مؤلفه (الحياة تبدأ بالاربعةين) قائلاً: " في إحدى ليالي شهر رمضان بينما كان محمد نائماً في أحد كهوف حراء ... يتجلى عليه ذلك الشخص قائلاً له أقرأ قال محمد لست بقارئ قال أقرأ بأسم ربك ... فردد محمد هذه الكلمات ، وأحس بالنور قد أشرق عليه " . (٣٤)

• رينيه غروسيه :-

وهو المستشرق الفرنسى صاحب كتاب (الحروب الصليبية) و(مدنيات من الشرق) في مؤلفه الاخير قال : " كان محمد لما قام بهذه الدعوة شاباً كريماً مجداً ملأً حماساً لكل قضية شريفة ، وكان أرفع جداً من الوسط الذي يعيش فيه وقد كان العرب يوم دعاهم الى الله منغمسين في الوثنية - فأراد أن تؤسس لهم حكومة ديمقراطية موحدة .. وأراد أن يلطف أخلاقهم ... " . (٣٥)

• أدورد مونتيه :-

هو المستشرق السويسري (١٨١٠ - ١٨٨٢) أذ يذكر في كتابه (المدينة الشرقية) قائلاً: " كان محمد نبياً بالمعنى الذي كان يعرفه العبرانيون القدماء ، ولقد كان يدافع عن عقيدة خالصة لا صلة لها بالوثنية ، وأخذ يسعى لانتشال قومه من ديانة جافة لا اعتبار لها بالمرّة ، وليخرجهم من حالة الاخلاق المنحطة كل الانحطاط ، ولا يمكن أن يشك الا في أخلاقه ولا في الحماية الدينية التي كان قلبه مفعماً بها " . (٣٦)



• واشنجنون ارفنج :-

هو المستشرق والمؤرخ الامريكي الذي تحدث عن مكانة الرسول ﷺ في قبيلته قائلاً : "هل كان محمد واسع النفوذ ؟ نعم ، فقد كانت أسرته تقوم بسدانة الكعبة وتتولى شؤون مكة ، تلك المدينة المقدسة ، ولذا كان مركزه وما أنصف به من أخلاق كريمة يؤهلانه ليكون موضع الثقة " .^(٣٧) حتماً ان اختيار الله عز وجل لنبي محمد ﷺ لم يكن اعتباطاً لذا وجد ارفنج بأن مكانة الرسول ﷺ في قبيلته ، وخلق الرفيع جعلانه موضع ثقة ، أن رأي ارفنج كان منصف وايجابي أزاء الرسول ﷺ .

• جولد تسيهر :-

وهو المستشرق والباحث المجري (١٨٥٠ - ١٩٠٣) ، أشار في كتابه (العقيدة والشريعة في الاسلام) الى دراسة الاثر التاريخي للدعوة الاسلامية في محيطها العربي بقوله : "...أذا الحق أن محمد كان بلاشك أول مصلح حقيقي في الشعب العربي من الوجهة التاريخية " .^(٣٨)

• مونتغمري وات :-

وهو مستشرق بريطاني من أسكتلندا وأستاذ في قسم الدراسات العربية في جامعة أدنبرة كتب عدة كتب خلال عقد الخمسينات منها (محمد في مكة) سنة ١٩٥٣ ثم (محمد في المدينة) سنة ١٩٥٦ ثم (محمد النبي ورجل الدولة) سنة ١٩٦١ فضلاً عن مقالاته ودراساته العديدة مثل مقالة (محمد) في دائرة المعارف البريطانية ، والفضل الخاص عن الرسول محمد ﷺ في الكتاب المرجعي (تاريخ الاسلام بكمبرج) وأعتبره من بين المستشرقين التقليديين المعاصرين متميز بمنهجية التاريخ في تقويم الروايات الاصلية من مصادرها القديمة وتخليص صورة الاسلام والرسول ﷺ من الشكوك والتشويهات التي بثها القس والرهبان ، مستشرقو العقود التي سبقته أمثال (لامانس) وغيره أذ أكد على طريقة نقدية لتحليل التاريخي على العوامل الاجتماعية لشرح إنجازات الرسول ﷺ وما حققه من نجاحات ، مبرزاً القيم والمبادئ الخلقية الانسانية التي تحلى بها الرسول والاسلام والتي كانت واقعاً لسياسته ﷺ .^(٣٩)

ان هذا الموقف الذي تبناه وات لم ينل استحسان المسلمين والمستشرقين (فالفة الاولى) وجدت عنده هفوات واستنتاجات بعيدة عن روح الاسلام وسيرة الرسول ﷺ ، فهو لم يصل الى الصورة الصحيحة للإسلام (الفة الثانية) المستشرقون حيث واجه انتقادات لأنه تجاوز الحدود



التي عرف بها المستشرقون الاولون بحيث أن أعجابه بالرسول (صلى الله عليه وسلم) أعماه عن المظاهر السلبية وجعله قريب من الوجه الاسلامي لرسول (صلى الله عليه وسلم) والتي لا يعترف بها المستشرقون الاوربيون ، بعد أن نفى العديد من التحريفات التي نعت بها الرسول (صلى الله عليه وسلم) من قبل المستشرقين الاولين (٤٠)

حتى قيمت دراسات وات من قبل أحد المستشرقين بما يلي : (أن هذه الحالة المتطرفة في الميل الى محمد (يقصد دراسات وات) تظهر المدى البعيد الذي وصلت اليه الدراسات الغربية التي ابتدأت بكرهية العصور الوسطى وانتهت بتقدير عادل ومتعاطف لرسول (صلى الله عليه وسلم)) الا أنه أقر بالحقيقة حينما قال : " في تاريخ العالم ، يقف محمد متميزاً بفضل الحركة (الاسلام) التي خلصت العرب من حياتهم الفقيرة والمغمورة باعتبارهم أبناء الصحراء ، ثم دفعتهم الى الاسلام للفتح وتكوين إمبراطورية غيرت وجه العالم " . (٤١)

وفي كتابه (محمد في مكة) تحدث مونتغمري وات عن الرسول قائلاً: "بعد زواجه من خديجة ، أخذ يرتقي سلم النجاح في مجتمعه المكي لمكانته في عشيرته ولأخلاقه السامية..". (٤٢)

وقد علق المستشرق الايطالي فرانسيسكو غبريلي : أن مؤلفات وات التي أمتد تأليفها بين سنوات (١٩٥٠ - ١٩٦٠) تمثل آخر وجهة نظر علماء الغرب بالنسبة الى نبي الاسلام ، وان دراسات وات تستحق الثناء في نهجها في تتبع المصادر ، وفي تقييمه للرسول (صلى الله عليه وسلم) فأن وات ذهب في حكمه وتقديره أبعد من أي مؤلف سبقه في أعجابه بالنبي الذي سيقابله أعجاب من قبل المستشرقين الآخرين وقد عُد غبريلي وجهة نظر وات هذه بأنها تمثل التطرف الذي تظهر من خلاله صورة النبي في الغرب بين أفكار العصور الوسطى الحاقدة وبين أفكار المستشرقين المعاصرة (٤٣)

كما اقتربت نظرة المستشرقين من موقف عقلانيي المسلمون الذين يعتقدون بأن الاسراء والمعراج كان بالروح فقط ، اعتمادا على حديث السيدة عائشة (رض) التي ترى بأن الاسراء كان من الرؤيا الصادقة (٤٤)

ليدلي الباحث الروماني (جورجيو) برأيه بهذه المسألة فهو مع كون اعتقاده أن أسراء الرسول ومعرجه قديماً بالروح فقط ، وهذا ليس بغريب على أصحاب الرؤيا العظيمة الصادقة ، لكنه يؤكد احترامه العقيدة الاسلامية حتى وان ذهب بعض مفكرها الى القول بالإسراء بالروح

والجسد معاً في تلك الرحلة الاعجازية ، التي تفوق كل خيال ، وتتجاوز موضوعية العلوم الفيزيائية فيقول : "علم الفيزياء وأن لم يقبل هذا الموضوع فأني أحترم العقيدة الاسلامية ، وأقبل كل ما جاءت به من الناحية الدينية ، ولدينا نحن المسيحيين اعتقادات دينية لا يقبل بها علم الفيزياء ، مع ذلك فنحن نقبل بها ، ونعتبرها من صلب معتقداتنا " .^(٤٥)

• ماكس :-

هو مستشرق أمريكي ذكر في كتابه (عظماء الشرف) هجرة الرسول ﷺ ودلائل النبوة والقوة التي ظهرت في تلك المرحلة والتي مثلت منعطفاً تاريخياً عظيماً في سيرة الرسول ، وتطوراً نوعياً في مسار الدعوة الاسلامية ، قائلاً : " لقد نفذت روح الاسلام من محمد رسول الله الى المسلمين الى الهداة والصالحين " .^(٤٦)

• ميشون :-

هو المستشرق الذي ذكر في كتابه (تاريخ الحروب الصليبية) " أن الاسلام الذي أمر بالجهاد متسامح نحو الاديان الاخرى ، وهو الذي أعفى البطارقة والرهبان من الضرائب وحرّم قتلهم على الخصوص بعكوفهم على العبادات ولم يحس عمر بن الخطاب (رض) النصراني حيث فتح القدس . في حين ذبح الصليبيون المسلمين وحرّقوا اليهود عندما دخلوها " ، وفي كتابه الاخر الموسوم (سياحة دينية في الشرق) متحدثاً عن تاريخ العلاقات الاسلامية والمسيحية ، وكيف أن المسيحيين تعلموا الكثير من المسلمين في التسامح ، وحسن المعاملة قائلاً : " أن من المحزن أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التعامل ، وفضائل حسن المعاملة ، وهما أقدس قواعد الرحمة والاحسان عند الشعوب والامم كل ذلك بفضل تعاليم نبيهم محمد " .^(٤٧)

• مايكل هارت :-

وفي عداد أولئك الذين أنصفوا الرسول ﷺ وأعطوه حقه ، وتمثلوا روح الاسلام وأدركوا موضوعياً أهمية الرسول التاريخية ، بعيداً عن المواقف المتمتزة أو المتعصبة معه أو ضده ، يقف في الطليعة الدكتور (مايكل هارت) صاحب كتاب (المائة الاوائل) الذي يشدنا أن نقف معه عند نظريته العلمية ، التي وقفها لتصنيف عظماء التاريخ ضمن سلم ترتيبه أختاره حسب مقاييس منطقية ...قائلاً : " أن اختيار محمد ليكون الاول في قائمة أهم رجال التاريخ ربما أدهش كثيراً من القراء الى حد قد يثير بعض التساؤلات ، ولكن في اعتقادي أن محمداً كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل اسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي ...



أسس محمد (ﷺ) ونشر أحد أعظم الأديان في العالم ، وأصبح أحد الزعماء العالميين السياسيين العظام ، ففي هذه الأيام وبعد مرور ثلاثة عشر قرناً تقريباً على وفاته ، لا يزال تأثيره قوياً عارماً " . (٤٨)

ويتحدث هارت في مقدمة كتابه هذا عن مبررات تصنف الرسول (ﷺ) في مرتبة أعلى من يسوع المسيح قائلاً: " لأن في اعتقادي أن محمداً له تأثير شخصي على صياغة الدين الاسلامي أكثرهما كان ليسوع من تأثير على الدين المسيحي " . (٤٩)

• سينرستن :-

تحدث المستشرق الاسوجي سينرستن (١٨٦٦) وهو أستاذ السامية ومحرر مجلة العالم الشرقي وصاحب كتاب (القرآن والانجيل المحمدي) ، و(تاريخ حياة محمد) قائلاً في مؤلفه الاخير : " أنا لم ننصف محمداً اذا انكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل ، والهمجية ، مصراً على مبدئه ، ومازال يحارب الطغاة حتى أنتهى به المطاف الى النصر فأصبحت شريعته أكمل الشرائع وهو فوق عظماء التاريخ " . (٥٠)

• جان بروا :-

تحدث المستشرق الفرنسي جان بروا في كتابه (محمد نابليون السماء) عن تلك العبقرية المتكاملة التي تقف في مدرسة الحياة بقوله : " كان محمد نبياً ومشرعاً وسياسياً وملكاً عظيماً وخطيباً مفوهاً وقائداً خطيراً محنكاً ، وان كان لم يدخل جامعة من جامعات الرومان ، ولا مدرسة من مدارس فارس ، أن محمد قد كبر أسمه وأعتز بربه حتى عرف بأسمه وحده دون ذكر أسرته ... " . (٥١)

• صاموئيل زويمر :-

هو المستشرق الانكليزي (١٨٤٣ - ١٩٠٤) ذكر في كتابه (يسوع في أحياء الغزالي) قائلاً : " أن عبقرية محمد هي السبب في نجاحه وأستطارة شأنه ، يضاف الى هذا كله معرفته العظيمة بالديانات في عهده ، وقوته في اجتذاب القلوب اليه ، ومقدرته في الادارة والحرب ، ولباقتة في السياسة الفائقة " . (٥٢)



• برتلمي سانت هيليا :-

وهو المستشرق الذي ذكر في كتابه (مع الشرق) قائلاً: "كان محمد أذكى العرب في عهده وأكثرهم تقوى وديناً ، وأرحبهم صدرًا ، وأرفقهم بأعدائه وخصوم دينه وما أستقامت امبراطوريته الخارقة الا بسبب تقوقه على رجال عصره ، وأما الدين الذي راح يدعو اليه فقد كان خيراً عظيماً على الشعوب التي أعتنقه وأمنت به". (٥٣)

• تيودور نولدكه :-

هو المستشرق الالمانى (١٨٣٦ - ١٩٢٠) أشاد بكمال وعبقريّة الرسالة التي حملها محمد للعالم في كتابه (تاريخ القرآن) قائلاً: "نزل القرآن على محمد نبي المسلمين بل نبي العالم وجاء بدين الى العالم عظيم ، وبشريعة كلها آداب وتعاليم ، وحرى بنا أن ننصف محمداً في الحديث عنه لأننا لم نقرأ عنه ، الا كل صفات الكمال فكان جديراً بالتكريم". (٥٤)

أن حياة الرسول في مواقفه الحاسمة وسلوكه العام ، قد جعلت منه القدوة والرمز ، فهو رمز للحكم العادل والسياسة الدينية الصحيحة وصاحب المنهج الاجتماعي السديد يقول عنه الفيلسوف الانكليزي (هربرت سبنسر) (١٨٠٢ - ١٩٠٣) في كتابه (أصول الاجتماع) ، " فدونكم محمداً أنه رمز للسياسة الدينية الصحيحة ، وأصدق من نهج منهاجها المقدس في البشرية كافة ، ولم يكن محمداً الا مثالا للامانة والصدق البريء ومازال يدأب لحياة أمته ليلة نهاره". (٥٥)

لقد نظر منصفوا المستشرقين الى الرسول ليس كنبي عمل في إطار الجزيرة العربية فحسب ، بل كواضع أسس سياسية عالمية أثرت على المسيرة التاريخية كذلك ، يقول الكاتب الفرنسي المعاصر والمستشرق (مارسيل بوازار) في مؤلفه (أنسانية الاسلام) ، " لم يكن محمد على الصعيد التاريخي مبشراً بدين وحسب بل كان كذلك مؤسس سياسة غيرت مجرى التاريخ وأثرت في تطور أنتشار الاسلام فيما بعد على أوسع نطاق". (٥٦)

• توماس كارليل :-

هو أحد كبار كتاب الانكليز ، الف كتاب (الابطال) الذي تحدث فيه عن عدد من الشخصيات العالمية في مختلف العصور ، وأفرد فصلاً خاصاً تحدّث فيه بإنصاف وانتماء وحماسة عن حياة النبي محمد ﷺ قائلاً: "من العار ان يصغي اي انسان فتحدث من



أبناء هذا الجيل الى وهم القائلين بأن الاسلام كذب ، وأن محمد (ﷺ) لم يكن على حق " (٥٧).

• هنري دي كاسترو:-

هو المستشرق الفرنسي الذي درس الاسلام وأطلع على جوانبه الخيرة وفضائله التي لا تنتهي ، فبات على يقين وتدقيق ن أنه دين الحق ، وأعلى ذلك عبر كتابه (خواطر وسوانح) الذي نشره عام (١٨٩٦) في فرنسا ، وقد قال فيه بأسلوب الواثق وفكر الباحث الرصين : " لقد آليت على نفسي ان التزم الدقة والعمق ، ولو أنني أتبع مجرد الظواهر ، وقضيت على الامور بغير تأمل وتدقيق ، فجاء كتابي مذموماً ، ورماني المستشرقون بالخفة والطيش ، لذلك قصدت أن يكون بحثي أولاً في تحقيق شخصية محمد (ﷺ) وتقرير حقيقته ، علني أجد في هذا البحث دليلاً جديداً على صدق محمد (ﷺ) وعلى أمانته المتفق عليها تقريباً بين جميع مؤرخي الديانات". (٥٨)

أن الكنيسة الاوربية أظهرت في مواقف متعددة عبر تاريخها كيف انها لا تقبل بحرية الرأي أن كانت هذه الآراء دفاعاً عن الاسلام او نبي الاسلام ، بل يصل بها الامر الى طرد المبدعين من رحمة البابا لأنهم تحدثوا بالخير عن أمة الاسلام ومن أشهر المبدعين الذين حرّموا من رحمة البابا بسبب دفاعهم عن النبي محمد الاديب الروسي (تولستوي) الذي تسبب دفاعه عن محمد في حرمان البابا له من رحمته ، بعد أن هاجم المستشرقين المتشددون بسبب التهم التي يحاولون التصاقها بمحمد ، فكتب مؤكداً أن محمداً رسول الله ، من كبار المصلحين الذين خدموا المجتمع خدمة جليلة لقد أنبهر (تولستوي) بشخصية النبي (ﷺ) وظهر ذلك واضحاً على عماله. (٥٩)

فيقول في مقالة له بعنوان (مَنْ هو محمد) : " أن محمداً هو مؤسس ورسول كان من عظماء الرجال الذين خدموا المجتمع الانساني خدمة جليلة ، ويكفيه فخراً أنه أهدى أمة برمتها الى نور الحق ، وجعلها تنجح الى السكينة والسلام ، وتؤثر عيشة الزهد ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية ، وفتح لها طرق الرقي والمدينة ، وهو عمل عظيم لا يقوم عليه الا شخص أوتي قوة ورجل مثله جدير بالاحترام والاحلال " (٦٠)

فهل يستحق من يقول هذا الكلام المتوازن الخروج من رحمة البابا ؟ وهل هناك حقاً ما يمكن أن يسمى رحمة البابا ؟ أعتقد أن سبب أخراج (تولستوي) وغيره من المبدعين من رحمة البابا



هو أنهم قد أكتشفوا زيف هذه الرحمة عندما تعرفوا على الاسلام ، وشخصية نبي الاسلام أن أهم التحديات التي يواجه الاسلام بها غيره من الحضارات والثقافات هي قدرة هذا الدين على النمو المستمر والتجدد الدائم تحت كل الظروف وخلاف كل الاديان الاخرى .^(٦١)

لذلك فإن في الغرب عدداً من المفكرين المثقفين من المتعاطفين مع العالم الاسلامي لأسباب فكرية ونفعية متعددة وهؤلاء المفكرون لا يجدون في الغرب من يساندهم أو يدعم أعمالهم ، أو يساهم في التعريف بها في ظل تنامي موجة الهجوم على الاسلام بدعوى الحرب على الارهاب ونحن بحاجة الى جهود هؤلاء في خدمة المشروع الاسلامي وفي الدفاع عن نبي الامة .^(٦٢)

من خلال استعراضنا لمؤلفات المستشرقين عامة ، وبعض المنصفين منهم خاصة وجدنا في هذه المؤلفات مستشرقين حقاً أنصفوا الرسول ﷺ في كتاباتهم لكن هذه الكتابات لا تخلو من الشك والريبة والدس في بعض منها ، مثال ذلك : (مونتغمري وات ، وتوماس كارليل) وبعض المستشرقين أشادوا بالرسول ﷺ في كتاباتهم لكنهم مع ذلك كانت أشادتهم طفيفة وهم متعصبين جداً أمثال (الاب هنري لامانس ، وزويمر) وغيرهم وهذا دليل على انهم يدركون الحق لكنهم لا يريدون معرفته طالما الحق هو محمد ﷺ .

أذن هنالك قلة من المستشرقين المنصفين وآخرين معتدلين يبدو أن المنصف هو الذي آمن بالرسول ﷺ ، حتى وأن لم يعلن اسلامه لكن آمن فيه كمبدأ أو بحقيقة ما جاء به من دعوة وتنظيم فجاءت كتاباتهم بعيدة الى حد ما عن المطاعن والدس وأن كان في بعضها موجود قد يكون عن سهو .

لكن المعتدلين يبدو أنهم أشادوا بأقوالهم ، ومؤلفاتهم بالرسول ﷺ والاسلام لكن حوت مؤلفاتهم مطاعن عدة هدفها أما كونهم مرتبطين بالدوائر الاستعمارية أم كونهم كمستشرقين أنهم حقاً أعجبوا بما جاء به محمد ﷺ لكن هذا الاعجاب لم يصل الى درجة الايمان والفرق واضح بين العبارتين (الاعجاب والايمان) .

المبحث الثاني :- أثر الكتابات الايجابية لبعض المستشرقين عن النبي محمد ﷺ

وانعكاساتها على الدراسات الاسلامية .

أن قيادة الكنيسة في العصور الوسطى وما بعدها للصراع الثقافي ضد الاسلام ، وحضارته، قد أشدت سيما بعد الحروب الصليبية ووصول الفتح الاسلامي الى حافات أوروبا



الشرقية والجنوبية ، وكانت الحرب الثقافية من أقسى أنواع الحروب تشويهاً لصورة الاسلام ولأنجازات علماء المسلمين ، في مجالات العلوم والفنون والآداب والنظم المتنوعة ، والاهم من ذلك أن تلك المغالطات والتشويهات ظلت فاعلة في العقل الاوربي عبر الحقب التاريخية ولا زالت تعمل عملها في نتائج فئة من المستشرقين على أقل تقدير وأن ما حدث من تغير في المنهجية أو الاسلوب إنما هي تغيرات سطحية هامشية حيث بقي جوهر الموقف على ما هو عليه لم يتغير عن البداية الاولى التي بدأ منها في العصر الوسيط .^(٦٣)

مع كون أن الاستشراق في بعض مراحلهِ عاش في كنف الكنيسة ترعاه وتوجهه ومارس دوراً فكرياً خطراً في التمهيد للاستعمار السياسي ، والثقافي ، والعسكري وقام بحركات حربية تهدف الى زعزعة ثقة الشعوب المستعمرة لدينها ، وثقافتها، وحضارتها ، فأن حركته الفكرية لا تخلو من جوانب أيجابية .^(٦٤)

متمثلة بتنظيم الكتب العربية التي توجد في المكتبات العمومية باوربا ووضع الفهارس لها حتى يسهل الرجوع اليها ، فضلاً عن تخصيص نخبة من المستشرقين بالكتابة عن مجال أو شخصية معينة ، ودراسة آثارهم العلمية بما يتطلب صبر، وجهد ، وتصوف علمي دؤوب ، كأشتهار تارودنت بأبن تيمية ، وأشتهار نولدكة وجولدتسيهر وغيرهم بدراسة القرآن وعلومهِ .^(٦٥)

مثال ذلك (دائرة المعارف الاسلامية) أصدرها المستشرقون بعدة لغات أذ وضعوا في كتابتها كل جهودهم لتصبح مرجع لهم للمسلمين في دراساتهم مع كون ما تضمنته من تحريفات ودس ، ففي بحوثهم هذه أسهموا بتتمة الثقافة الانسانية ودفعوا الى متابعة تلك البحوث بالزيادة والتعقب والرد.^(٦٦)

ناهيك عن أثر بعض المستشرقين المنصفين الذين تركوا أثراً عميقاً في الرأي العام الاسلامي ، والرأي العام الاوربي مثال ذلك المستشرق الفرنسي (كلود أيتان سافاري) أذ وصف الرسول في مقدمة ترجمته للقرآن بالعظمة قائلاً : " أسس محمد ديانة عالمية تقوم على عقيدة بسيطة لا تتضمن الا ما يقره العقل من إيمان وأن من لم يعترف بنبوته لا يستطيع الا أن يعتبره من أعظم الرجال الذين ظهوروا في التاريخ " .^(٦٧)

وهناك احث الامريكي (وول ديورانت) صاحب كتاب (قصة الحضارة) الذي سبق ذكره قائلاً: " كان محمد ﷺ نبياً كبيراً وتوحيدياً كاملاً ولم يكن له نظير جاء لإصلاح البشر ". (٦٨)

وعن رفيع أخلاقه وسامي خصاله وعظمته من الانزلاق في مهاوي الرذيلة تحدث المستشرق (جرسان دتاسي) قائلاً : " أن محمداً ولد في حضن الوثنية ، ولكنه منذ نعومة أظفاره أظهر بعقريّة فذة انزعاجاً عظيماً من الرذيلة وحباً حاداً للفضيلة وإخلاصاً ونية حسنة غير عاديين الى درجة أن أطلق عليه مواطنوه في ذلك العهد أسم الامين ". (٦٩)

مع كون وجود مستشرقين منصفين وآخرين غير ذلك الا أن من الممكن الفائدة من الكتابات التي نلمس فيها تحرراً من الضغوط الاستعمارية والتي يغلب عليها الطابع العلمي المجرد من الاهواء والاحكام المسبقة ، وهي خطوة نحو الاتجاه بالدراسات العلمية البعيدة عن الريبة . (٧٠) فضلاً عن ذلك لا يمكن التسليم بشكل نهائي بدراسات المستشرقين حول الرسول ﷺ وسيرته ، لأنها مهما بلغت من حيادية ونزاهة لابد أن تسقط بأحد هذين الخطأين القصور عن الفهم ، وتدمير الثقة بأسس هذا الدين ، ولكون هذه الدراسات الاستشراقية حول الرسول ﷺ وسيرته أصبحت أمر واقع ممكن قبولها كدراسات وبحوث أكاديمية مسلم بها الى حد ما ممكن أن تعطينا فهم أكثر حول نسج السيرة لكن لا يتعامل معها على أنها دراسات ونتائج نهائية أبداً . (٧١)

ذلك لأن المستشرق مهما أستخدم من قدراته العقلية وأجتهده في تحليلاته المنطقية وأستخدم ما يمكن أن يساعده في الوصول الى الحقيقة التاريخية ، ومهما أتصف بالحيادية والموضوعية ، فإنه لن يصل الى درجة الكمال في سيرة الرسول ﷺ رغم تألق بعض أعمال المستشرقين في سيرة الرسول ﷺ وعمقها وغناها تبقى تمثل الخط الثاني أو الثالث ... أذ لابد أن ينساق المستشرقون وراء تعصبهم لنصرانية . (٧٢)

أذ يذكر المستشرق الفرنسي الذي أسلم (الفونس أيتين دينيه) قائلاً : "من العسير أن يتجرد المستشرقون من عواطفهم ونزعاتهم عندما يؤرخون حياة الرسول محمد ﷺ وحياة صحابته". (٧٣) مع ذلك وجدنا في كتابات هؤلاء المستشرقون أقوالاً وآراء ايجابية منصفة أزاء الرسول ﷺ ، والاسلام ، وقيمة الحضارة الاسلامية كما ذكرنا سلفاً .



لذلك نذر نفسه وفكره وقلمه للردّ على المنحرفين الحاقدين المستشرقين الذين شكك فيهم ، وأتهمهم محقاً بالتميز ، والمغالطة ، والافتراء ، قائلًا : " لقد بلغ تحريف بعض المستشرقين لسيرة محمد (صلى الله عليه وسلم) وصحابته مبلغاً غطى على الواقع ، وأخفى الصورة الحقيقية ، وذلك على الرغم مما يزعمه المستشرقون من أتباعهم لأساليب النقد البريئة وبقوانين البحث العلمي المحايد " . (٧٤)

ولم يقف الامر عند أنصاف المستشرقين الغربيين لرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) ، والاسلام فقط بل حفزت الدراسات الاستشراقية الحاقدة حفيظة المفكرون العرب المنصفون من المسيحيين فراحوا يؤلفون الكتب ، والمقالات ، والاشعار التي تتغنى بمزايا الاسلام الحسنة والايامن الصادق الذي دعي له الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) في رسالته السماوية حتى وأن لم يسلم هؤلاء مثال ذلك .

الكاتب المصري نظمي لوقا ، السياسي الفلسطيني أميل الغوري ، فضلاً عن أقوال شتى وشهادات منصفة من فلاسفة مسيحيي العرب وشعرائهم ومفكرهم في سورية ، ولبنان ، والاردن ، مثال ذلك الاستاذ مكرم عبيد الزعيم المصري القبطي الذي كان يرأس حزب الكتلة الوفدية ويستشهد بالآيات القرآنية في خطبة وأحاديثه التي يلقيها في المحافل والمفكر اللبناني الماروني أسعد داغر ، والاديب والشاعر والفيلسوف اللبناني ميخائيل نعيمة ، وغيرهم . (٧٥)

أذ كان لهؤلاء القصائد الشعرية ، والكتابات الادبية التي طالما تغنت بروح الاسلام ، وشمائل الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) مؤكدة روح المحبة والتسامح التي تمثلها البلاد العربية في حقيقة التعايش السلمي بين الاديان الى جانب السياسات العنصرية التي تمارسها الدوائر الاستعمارية الغربية .

أذن لهؤلاء المنصفين دراسات قيمة أثرت المكتبة العربية بدراساتهم المنصفة الموضوعية عامة سواءً في الاسلام أم الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) أم الحضارة العربية الاسلامية ، حتى أن آراء المستشرقين الحاقدين في الاسلام والرسول (صلى الله عليه وسلم) كانت على ما يبدو مفيدة الى حد ما وأن أساءت للإسلام ، والرسول (صلى الله عليه وسلم) ، والقرآن الكريم ، فهي من ناحية حفزت المسلمين خاصة على الرد عليهم بالحجة والموعظة والتي تطلبت من المسلمين تأليف الكتب في الرد على أباطيلهم وما كان لهذه الكتب فيما بعد من أهمية في إغناء المكتبة العربية

الاسلامية ، وأظهرت مدى الحقد والعدائية التي كالوها للإسلام متمثلة في شخص الرسول الكريم ﷺ ، والقرآن ، أن هذه التحديات برمتها التي واجهها الاسلام والرسول ﷺ بما أنزل عليه من القرآن بينت المعجزات الالهية التي خصها سبحانه وتعالى لرسوله الكريم ﷺ والتي حافظت عليه وما جاء به من دين سماوي وما أنزل من كتاب مبين حافظت عليه من كيد الحاقدين على مر العصور والازمان قال تعالى : ﴿ أنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون ﴾ . (٧٦)

النتائج

لقد أظهر البحث جملة نتائج مهمة :

- ١ - بين الوجه الآخر للمستشرقين من دراسات أيجابية محايدة ، ومعتدلة ، حتى وأن لم يسلم أصحابها لكنهم عبروا بطرح الحقائق بموضوعية تامة .
- ٢ - أتضح وجود مستشرقين هم حقاً أنصفوا الرسول ﷺ في كتاباتهم الى درجة أنهم أعلنوا اسلامهم وبعضهم أنصفه بأرائهم التي وضعوها في مؤلفاتهم لكن لم يدخل الايمان قلوبهم وقسم من المستشرقين هم أنصفوا الرسول ﷺ بكتاباتهم لكن هذه الكتابات لا تخلوا من الشك والريبة والدس في بعض منها ، مثال ذلك (مونتغمري وات ، وتوماس كارليل) .
- ٣ - بعض المستشرقين أشادوا بالرسول ﷺ في كتاباتهم لكنهم مع ذلك كانت أشادتهم طفيفة وهم متعصبين جداً أمثال (الاب هنري لامنس ، زويمر) وغيرهم وهذا دليل على أنهم يدركون الحق لكنهم لا يريدون معرفته طالما الحق هو محمد ﷺ .
- ٤ - أتضح أن لهؤلاء المنصفين دراسات قيمة أثرت المكتبة العربية بدراساتهم المنصفة الموضوعية عامة سواء في الاسلام أم الرسول الكريم ﷺ أم الحضارة العربية الاسلامية ، حتى أن آراء المستشرقين الحاقدين في الاسلام والرسول ﷺ كانت على ما يبدو مفيدة الى حد ما وأن أساءت للإسلام ، والرسول ﷺ ، والقرآن الكريم ، فهي من ناحية حفزت المسلمين تأليف الكتب في الرد على أباطيلهم وما كان لهذه الكتب فيما بعد من أهمية في إغناء المكتبة العربية الاسلامية ، وأظهرت مدى الحقد والعدائية التي كالوها للإسلام متمثلة بشخص الرسول الكريم ﷺ ، والقرآن .



٥ - كان لتحديات الكبيرة التي واجهها الاسلام والرسول ﷺ بما أنزل عليه من القرآن بينت المعجزات الالهية التي خصها سبحانه وتعالى لرسوله الكريم ﷺ والتي حافظت عليه وما جاء به من دين سماوي وما أنزل من كتاب مبين حافظت عليه من كيد الحاقدين على مر العصور والازمان .

الاحالات :

١. يوسف : آية ٢٦ .
٢. القلم : آية ٤ .
٣. الحجر : آية ٩ .
٤. الصف : آية ٨ .
٥. آل عمران : آية ١٩ .
٦. آل عمران : آية ٨٥ .
٧. الشيباني ، محمد شريف، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، د.م ، (د.مط ، د.ت) ، ص ١ .
٨. سبأ : آية ٢٨ .
٩. حمدان ، نذير ، الرسول (ص) في كتابات المستشرقين ، ط ٢ ، جدة ، (دار المنارة ، د.ت) ، ص ٤٥ .
١٠. فوزي ، فاروق عمر ، الاستشراق والتاريخ الاسلامي والقرون الاسلامية الاولى دراسة مقارنة بين وجهة النظر الاسلامية ووجهة النظر الاوروبية ، ط ١ ، عمان ، (الاهلية لنشر والتوزيع ، ١٩٩٨ م) ، ص ٥٦ وص ٥٧ .
١١. فروخ ، عمر ، مجلة الاستشراق ، بغداد ، العدد (١) ، لسنة ١٩٨٧ م ، ص ٦٠ .
١٢. فوزي ، فاروق عمر ، الاستشراق والتاريخ الاسلامي ، ص ١٥ .
١٣. فروخ ، عمر ، مجلة الاستشراق ، ص ٦٠ ؛ بدوي ، عبد الرحمن ، موسوعة المستشرقين ، ط ١ ، عمان ، (دار الفارس ، ٢٠٠٣ م) ، ص ٤٩٣ .
١٤. فوزي ، فاروق عمر ، الاستشراق والتاريخ الاسلامي ، ص ٥٧ .
١٥. فوزي ، فاروق عمر ، الاستشراق والتاريخ الاسلامي ، ص ٥٧ .
١٦. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ٢٤ .
١٧. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ٢٤ .
١٨. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ٦٣ .
١٩. فوزي ، فاروق عمر ، الاستشراق والتاريخ الاسلامي ، ص ٥٩ .
٢٠. فوزي ، فاروق عمر ، الاستشراق والتاريخ الاسلامي ، ص ٥٥ .
٢١. فلهاوزن ، يوليوس ، تاريخ الدولة العربية ، ترجمة : محمد عبد الهادي ، القاهرة ، (د.مط ، ١٩٦٨ م) ، ص ١ .
٢٢. دينيه ، أيتين ، أبراهيم ، سليمان ، محمد رسول الله ، ترجمة : عبد الحكيم محمود ومحمود عبد الحكيم ، ط ٢ ، القاهرة ، (د.مط ، ١٩٨٥ م) ، ص ١٠٨ .



٢٣. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ٥٠ .
٢٤. فوزي ، فاروق عمر ، الاستشراق والتاريخ الاسلامي ، ص ٥٤ .
٢٥. فوزي ، فاروق عمر ، الاستشراق والتاريخ الاسلامي ، ص ٥٦ .
٢٦. فروخ ، عمر ، مجلة الاستشراقية ، ص ٦٠ .
٢٧. بدوي ، عبد الرحمن ، موسوعة المستشرقين ، ص ٥٩٣ .
٢٨. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ٩ .
٢٩. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ١٠ .
٣٠. فوزي ، فاروق عمر ، الاستشراق والتاريخ الاسلامي ، ص ٥٨ .
٣١. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ٢٦ .
٣٢. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ٣٢ .
٣٣. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ٣٦ .
٣٤. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ٣٩ .
٣٥. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ٤٠ .
٣٦. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ٤٠ .
٣٧. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ٤٧ .
٣٨. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ٤٧ .
٣٩. فوزي ، فاروق عمر ، الاستشراق والتاريخ الاسلامي ، ص ٥٨ .
٤٠. فوزي ، فاروق عمر ، الاستشراق والتاريخ الاسلامي ، ص ٥٩ .
٤١. فوزي ، فاروق عمر ، الاستشراق والتاريخ الاسلامي ، ص ٦٠ .
٤٢. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ١١ .
٤٣. لبيد ، عمار ، السيرة النبوية في كتابات المستشرقين المعاصرين (دراسة نقدية) ، رسالة ماجستير ، معهد التاريخ العربي ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ، ص ٩٤ .
٤٤. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ٥٩ .
٤٥. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ٥٩ و ص ٦٠ .
٤٦. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ٦٦ .
٤٧. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ١١٤ .
٤٨. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ١٢٠ و ص ١٢١ ؛ العظم ، يوسف ، تاريخنا بين تزوير الاعداء وغفلة الابناء ، ط ١ ، جدة ، (دار البشير ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) ، ص ٥٦ .
٤٩. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ١٢١ .
٥٠. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ١٢٦ .



٥١. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ١٢٧ .
٥٢. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ١٢٨ .
٥٣. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ١٢٨ .
٥٤. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ١٢٩ .
٥٥. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ١٢٩ .
٥٦. الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ١٣٠ .
٥٧. العظم ، يوسف ، تاريخنا بين تزوير الاعداء وغفلة الابناء ، ص ٤٧ ؛ خفاجي ، باسم ، كتاب البيان لماذا يكرهونه (الاصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الاسلام (ص)) ، ط ١ ، الرياض ، (مكتبة مجلة البيان ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م) ، ص ٧١ .
٥٨. العظم ، يوسف ، تاريخنا بين تزوير الاعداء وغفلة الابناء ، ص ٤٧ .
٥٩. خفاجي ، باسم ، كتاب البيان ، ص ٧١ .
٦٠. تولستوي ، ليف ، مؤثرات عربية وأسلامية في الادب الروسي ، الكويت ، مجلة عالم المعرفة ، العدد (١٥٥) لسنة ١٩٩١ م ، ص ٢٥ .
٦١. خفاجي ، باسم ، كتاب البيان ، ص ٧٢ .
٦٢. خفاجي ، باسم ، كتاب البيان ، ص ٩٤ .
- ٦٣ . فوزي ، فاروق عمر ، الاستشراق والتاريخ الاسلامي ، ص ١٦١ وص ١٦٢ .
- ٦٤ . مجموعة مؤلفين ، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الاسلامية ، تونس ، (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، د.ت) ، ج ١ ، ص ٢٥ .
- ٦٥ . مجموعة مؤلفين ، مناهج المستشرقين ، ج ١ ، ص ٢٥ .
- ٦٦ . مجموعة مؤلفين ، مناهج المستشرقين ، ج ١ ، ص ٢٤ .
- ٦٧ . مجموعة مؤلفين ، مناهج المستشرقين ، ج ١ ، ص ٢٤ .
- ٦٨ . الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ٢ .
- ٦٩ . الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ٢٣ وص ٢٤ .
- ٧٠ . مجموعة مؤلفين ، مناهج المستشرقين ، ص ٢٤ .
- ٧١ . مجموعة مؤلفين ، مناهج المستشرقين ، ص ١٢١ .
- ٧٢ . مجموعة مؤلفين ، مناهج المستشرقين ، ص ١٢٠ .
- ٧٣ . العظم ، تاريخنا بين تزوير الاعداء وغفلة الابناء ، ص ٤٥ .
- ٧٤ . العظم ، تاريخنا بين تزوير الاعداء وغفلة الابناء ، ص ٤٥ .
- ٧٥ . العظم ، تاريخنا بين تزوير الاعداء وغفلة الابناء ، ص ١٠٩ وص ١١٠ وص ١٤٨ .
- ٧٦ . الحجر ، آية ٩ .